

حسبيل الأنبياء في الدعوة إلى الله



الشيخ أحمد السيد



معالم سبيل الأنبياء في الدعوة إلى الله

1 البصيرة والبيئة والانطلاق بحجة واضحة بالنسبة للنبي نفسه.

ثلاث مرات في سورة هود: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي}.

الدُّعَاةُ إلى الله اليوم بحاجة ماسة لتقوية إيمانهم و يقينهم ومدّ الجذور العقدية العميقة التي تجعلهم قادرين على مواجهة مختلف التحديات والعقبات والأزمات دون أن تهتز جذوعهم من الرياح العاتية من مختلف الاتجاهات.

من ما يُستفاد من سبيل الأنبياء في الدعوة إلى الله عند إعداد المُصلحين والدُّعاة -مثلاً- فأول ما يحتاج إلى قوة الإيمان ووضوح البَيِّنَة بالنسبة له هو الداعي إلى الله، مما يؤيد هذا المعنى بالنسبة للأنبياء قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}، {لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى}، {لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}.

2 التجرد الإصلاحي وعدم استغلال الدعوة للمكاسب المادية أو لتكون جسراً للأُمجاد الشخصية.

من هدي الأنبياء أنهم كانوا في دعوتهم لا يدعون إلا إلى الله لا إلى أنفسهم.

خمس مرات في سورة الشعراء: {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، وفي سورة هود: {يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا * إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي * أَفَلَا تَعْقِلُونَ}، {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}، {قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ * إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}.

من نقاط القوة الكبيرة التي من المهم للدُّعاة الانطلاق منها في سبيل الدعوة إلى الله هي نقطة عدم استغلال الدعوة لبناء الأُمجاد الشخصية، وإنما يعرف المدعو أنه يدعو إلى الله.

كان عند عبدالله بن مبارك -رحمه الله- مال كثير، فكان يكفل المُحدِّثين ويُقدِّم كفالتهم على الفقراء من غير المُحدِّثين؛ لأنهم لو لم يكن عندهم الكفاية انشغلوا عن نقل سنة النبي ﷺ وحفظها إلى هذا التطلب.



3 البدء بالقضية الكبرى التي خُلِقَ من أجلها الإنسان، وهي تعبيد الناس لله وتحقيق هذه العبودية والتخلص من المشكلات الكبرى التي تُضادُّ هذا المعنى العظيم الذي هو العبودية لله سبحانه وتعالى.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}، وفي سورتي الأعراف وهود: {قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}.

نحن اليوم في أمسِّ الحاجة لتجديد سبيل الأنبياء في الدعوة لهذه القضية الكبرى لكن يجب عدم الوقوع في إشكال اختزال مفهوم العبودية في بعض صور المخالفات في العبودية فأساس العبودية في تعبيد القلب لله.

4 اعتناء (مع القضية الكبرى المتعلقة بالعبودية) كل نبي بمشكلات عصره.

فكل نبي اهتم بقضية مُنتشرة في عصره ووقته، ولم تكن مُنتشرة في وقت نبي آخر، فإذا ذكر شعيب تذكر قضية التطفيف في المكيال والميزان، وإذا ذكر لوط تذكر قضية الفاحشة..

لم ينشغل الأنبياء بمشكلات العصر عن قضية العبودية، ولم ينشغلوا بقضية العبودية عن مشكلات العصر، وإنما جمعوا بين الأمرين، والانفراد بأحد الطرفين دون الآخر مشكلة موجودة في عصرنا وزماننا.

5 الحرص على الناس والاهتمام بهم والرغبة الشديدة في هدايتهم.

خمس مرات في سورة الشعراء: {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ}، {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ} جاءت في عدة مواضع في القرآن.

هذا المعلم فيه نقص شديد اليوم، وخاصةً عند مَنْ تتحول عنده الدعوة إلى الله إلى وظيفة ينسى خلال أدائها أن تعريفه الأول أنه داعٍ إلى الله، فيعتاد ويألف حتى تصبح الدعوة إلى الله عادة.

لا ينبغي أن يدفع الداعية حرصه إلى أحد الإشكاليين:

- التمييع في حقائق ما يدعو إليه حتى يقبلها الآخرون.
- أو عكس ذلك، فيدفعه الحرص إلى الشدة.



6 العناية بالبرهان وإيضاح الرسالة بأفضل طرق البيان.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾، ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾، ﴿أَتَنهَمُ رَسُولَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾.

من المهم في شأن الدُّعاة إلى الله اليوم أن يحرصوا على أن يكونوا على مستوى من البيان ما يجعل الحق لا يأتي من قبل ضعفهم في البيان.

البيان لا يختص بطريقة الأداء، وإنما من أهم ما يدخل فيه هو المحتوى الذي يُقدّم والبراهين التي يحويها هذا الكلام، ومن ظلم الحق والحقيقة أن تُقدّم مُنقطعة الأوصال أو الصلة بالقوة البراهينية والبيانية.

7 دوام التزود الإيماني والتعبدي، ودوام اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، وعدم الإنقطاع عن الزاد الأساسي الذي يملأ قلب الداعي إلى الله سبحانه وتعالى.

ولهذا نجد أن الله يصف أنبياءه بالعبادة والخشوع والإنابة ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾، ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾، ﴿نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

الداعي إلى الله والمُتَّبِع لسبيل الأنبياء هو من أحوج الناس لقضية العبادة، خاصة مع كثرة الفتن والمشكلات وقلة الزاد والرفيق والسالكين، فالمُعِين للإنسان هو زاده الإيماني الذي يُستجلب به عون الله وتوفيقه وتسديده.

8 لا يخشون في دعوتهم إلا لله، ولا يتوكلون إلا عليه سبحانه في دفع أذى الخلق، ويعتصمون به سبحانه ملتجئين إليه مما يمكن أن يطرأ عليهم في الطريق من قواطع.

﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾، ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون﴾، ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا * فَايُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ * إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.



9 الصبر على أعباء الطريق وما يُنال من الأذى والشدة والمصائب والكوارث نتيجة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى

بهذا المعنى كان الله عزَّ وجلَّ يواسي نبيه ﷺ {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى آتَاهُمْ نَصْرُنَا * وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ * وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ}، {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}.

الصبر لا يكون على الأذى فقط وإنما أيضًا صبر على الثبات على الطريق وعدم التأثر بتغيير الأحوال، والصبر على طول الطريق وعدم استعجال الثمرة.

10 حرصهم على الجمع بين أمرين في سياق دعوتهم إلى الله.

تبليغ الرسالة للمخالفين (الكفار).

بناء المؤمنين وتربيتهم على حقائق الإيمان وتزكيتهم وإصلاح أحوالهم وحثهم على العمل للإسلام ونصرة الله ورسوله ﷺ.

المحروم كل المحروم مَنْ بَحَثَ عن الحكمة في مختلف الأسماء التي مرت عبر التاريخ ثم يكون غافلاً عن أشرف الخلق وأزكاهم وأهداهم سبيلاً وأقربهم إلى الله سبحانه وتعالى وهم أنبياءه صلوات الله وسلامه عليهم.

